رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 290 - 303
zitounimac@hotmail.com
belb65@hotmail.com

الفن التشكيلي و إسهاماته في توثيق تاريخ وتراث الجلفة

- **زيتوني عبد الرزاق ،بلبشير عبد الرزاق**
- **كلية الآداب واللغات والفنون جامعة تلمسان** ،zitounimac@hotmail.com
- **كلية الآداب واللغات والفنون جامعة تلمسان** belb65@hotmail.com

تاريخ الارسال : 2017-09-23 **تاريخ القبول:** 2018-02-18 **تاريخ النشر:** 2019-05-29

الملخص: يعتبر كل من التاريخ والآثار من المقومات والمكتسبات سوءا أكانت مادية أو معنوية رصيد للأمة فهما بطاقة التعريف والهوية كما لشخص بطاقته الخاصة التي تحمل اسمه ولقبه وسكنه وغيرهما ولذا يمكن أن نرى تاريخنا وأثارنا في الموجودات والشواهد والحواضر المحيطة بنا ،ولعل أهم الأعمال التي كانت من النوادر والتي وثقت بشكل من الأشكال لتاريخ منطقتنا الجلفة هو الفن التشكيلي الذي هو من صميم التاريخ والتراث فهو يسلط الضوء على المعالم الفنية الكامنة التي تفيض به منطقة الجلفة والجزائر ،فالفن التشكيلي هو ثراء فكري وتاريخي ساهم به فنانو المنطقة أو الذين مروا بها من خلال أعمالهم الفنية التشكيلية الشاهدة .

الكلمات المفتاحية : الجلفة ؛التاريخ ؛الآثار ؛الفن التشكيلي ؛الأمة .

ترجمة العنوان للغة الانجليزية

Abstract: The history and the effects of the elements and acquisitions are worse, whether material or moral, a balance of the nation. They are the identity card and identity card of the person with his own identity card bearing his name, surname, housing and others, so we can see our history and our effects in the assets and the witnesses and the surrounding cities. Perhaps the most important works that were rare and documented in some way to the history of our region Djelfa is the art which is at the heart of history and heritage it highlights the underlying technical parameters overflowing with Djelfa and Algiers region, Art is visual is the richness of intellectual and historical contributed by artists of the region or who have passed out of x The plastic witness their artistic work.
Keywords: Djelfa, history, archeology, plastic arts, nation.

zitounimac@hotmail.com
belb65@hotmail.com

المقدمة:

رسم الفنانون اللوحات التشكيلية والأعمال الفنية لتجسيد معاني الجمال والذوق و الفلسفة كما سجلوا المكان والزمان والبيئة وبذالك ساهموا أسهاما عظيما في توثيق التاريخ والتراث والآثار والحضارة حيث كان الفن ،الحرفة ، الصنعة أو الهندسة هي وسيلة إعلام واتصال قديما ,حديثا أصبح الأعمال الفنية المنجزة في الحقب الغابرة توثق وترصد الأثر المادي والمعنوي وتؤرخ للحظة والبيئة والشخصية ،وكل ذالك والبيئة والشخصية،وكل ذالك من صميم مقومات السيادة الذاتية لتحقيق التفرد في الهوية والثقافة المحلية والوطنية.

وهنا تعد آثار وفنون الجلفة ضاربة في عبق التاريخ و حافلة بالفنانين الذين أنارو سماها من خلال أعمال شاهدة وثقت لتاريخ المنطقة ومن بينهم الفنان المستشرق أوجين فرومنتان ...وغيرهم

والإشكالية المطروحة ماهي المفردات والدلالات في الفن التشكيلي التي من خلالها أبرزت التاريخ والآثار في منطقة الجلفة ؟وكيف أرخت اللوحة التشكيلية لزمان والمكان في الجلفة وماهية إسهامات الفن التشكيلي في توثيق تاريخ الجلفة ؟

1. الجلفـــــــة:

بالتقاء مفترق الطرق من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب و بعد ب 300 كم عن الجزائر العاصمة تقع جوهرة التل وشمس الأشراف أولاد نايل الجلفة , وهي إحدى الولايات الجزائرية الثماني والأربعين تحمل الرقم (17) بمقتضى التقسيم الإداري للبلاد 1974 يحدها شمالا ولاية المدية و شرقا ولاية المسيلة ، ومن الشمال الغربي ولاية تيسمسيلت من الجنوب الشرقي ولاية بسكرة وولاية ورقلة ، من الجنوب ولاية غرداية من الجنوب الغربي ولاية الاغواط من الغرب ولاية تيارت[1].

و تقع الولاية بين خط العرض: 34.67° شمالا, خط الطول: 3.26° شرقا[2].وهي في سفح الأطلس الصحراوي ، بين أحضان السهوب الوسطى عند التحام الصحراء بالهضاب العليا،شساعة المساحة أعطت المنطقة تنوعا طبيعيا، إذ نجد مثلا أنواعا تضاريسية متعددة على امتداد مساحتها الشاسعة فهناك سلسلة جبلية في وسط الولاية تمتد من دائرة دار الشيوخ شرقا إلى الإدريسية في أقصى الغرب، حيث تتخلل هذه السلسلة قمم جبلية فارغة، تبلغ مداها الأقصى في قمة جبل "محاسن الكفا" بالقرب من منطقة بن يعقوب المرتفعة بـ 1613 مترا، وينخفض هذا الارتفاع كلما توجهنا غربا دون أن ننسى جبل بوكحيل الذي يقع بدائرة فيض البطمة والذي يأخذ مساحة في الشمال الشرقي لدائرة مسعد، ويمتد حتى بوسعادة، وكذا جبل الملح بالمكان المسمى "حجر الملح"،وهو ثالث جبل ملح في العالم ويقع على

بعد حوالي 30 كلم شمال مدينة الجلفة[3]. توجد بالمنطقة أيضا منخفضات ببلدية الجلفة، وبلدية دار الشيوخ وأحواض بالإدريسية وبالقرب من مسعد، وسهول بعين الإبل ومسعد, يمر وادي جدي بالجزء الغربي للجلفة، والغطاء النباتي هو الأشجار التي تغطي 150 هكتار وتقع هذه المناطق الغابية بالجنوب الغربي والشمال الشرقي لبلدية الجلفة وشرق مسعد، وبالقرب من عين وسارة .وتغلب عليها أنواع : الصنوبر الحلبي، وأشجار العرعار بالإضافة إلى أنواع نباتية استبسية، مثل الحلفاء التي تغطي مساحة تقدر بـ: 658000 هكتار. والشيح، والإكليل. كما أتاحت الطبيعة الصحراوية جنوب المنطقة وجود الواحات والحمادات في منطقة مسعد[4].

بالنسبة لمناخ منطقة الجلفة انتقالي في عمومه، بين مناخ البحر الأبيض المتوسط والمناخ الصحراوي.إذ يتميز بقساوة الطقس في فصل الشتاء وكثرة موجات الصقيع المنتظمة، وبقلة الأمطار وعدم انتظامها وامتداد مدة الجفاف وقصر مدة التساقط. ويقدر متوسط قيمة التساقط بين 150 إلى 350 ملم سنويا[5].

تتمتع الجلفة بمساحة تقدر بـ: 32256.35 كلم2، وتمثل 1.36 % من المساحة الإجمالية للجزائر، يزيد تعداد السكان للولاية حسب إحصاء 2005 عن 940367 نسمة وفي إحصاء 2008 ارتفع العدد إلى 134 204 1 نسمة سنة 2008 وب 1475000 نسمة(توقعات 2010)نسمة، وتحتل بذلك المرتبة الرابعة وطنيا سنة 2008 من حيث عدد سكان في الجزائر[6].

2. الجانب التاريخي:

كانت منطقة الجلفة قبل عشرات الملايين من السنوات عائمة تحت الماء، بدليل اكتشاف مجموعة من الصدفات المتحجرة، التي هي محفوظة و معروضة بالمتحف المحلي للمدينة.

أن الحفريات المتواجدة على مستوى عين الناقة والتي قام بها الدكتور قريبونون GREBENANT (مؤلف كتاب: عين الناقة، القفصي والنيوليتي ،1969) ترجع تعمير هاته المنطقة إلى 7000 سنة قبل القرن الأول الميلادي بالنسبة للإيبيباليوتيك و5000 سنة للنيوليتيك، إضافة إلى مناطق أخرى تخفي بقايا أدوات ونقوش ورسومات صخرية[7].

ومن بين المناطق الأثرية التي تزخربها ولاية الجلفة نذكر منها:

-منطقة زكار (آثار تاريخية قديمة منذ العهد الروماني).

-منطقة عين الناقة (عثر فيها على أدوات مأخوذة من أحجار صلبة منحوتة بشكل غليظ تعود إلى العهد الحجري، وكتابات بربرية في صافية بوزيان، وكذلك رسومات ضخرية، مثل الحيرمين العتيقين Les)

(deux Buffles antiquesالضخمين) (أكبر هذين الرسمين مساحته 219 سم)، ويوجد بالمحطة أيضا رسم لفيل كبير، ورسم لامرأة ورجل يدعيان : العاشقين الخجولين.

-منطقة عين أفقة (مراكز الاتصال، أبراج للمراقبة).

-منطقة (دمد مقابر وأثار رومانية مثل أساسات المدن الموجودة على حواف الوادي).

-منطقة قلتة سطل(مواقع أثرية، محاجر مائية..)

-منطقة عمورة (بها مجموعة من المغارات والكهوف التي استعملها الإنسان الحجري).

-محطة حصباية(اكتشفت هذه المحطة في عملية عسكرية للفرنسيين أثناء الاحتلال، وأعيد اكتشافها سنة 1964 من قبل دوفيلاري وبلانشار. تبعد بحوالي 75 كلم عن مدينة الجلفة جنوبا، حيث نجد نقوشا صخرية لفيلة وأبقار ونعامات وأرانب ورسما لإنسان).

-محطة خنق الهلال(اكتشفها سنة 1966 براتفيال ودوفيلاري. محطة قريبة من عين الإبل، فيها رسم لثور (حيرم) عتيق، وكبش تعلوه شبه كرة. ويوجد رسم لأسد كبير لا يظهر ذيله، ويتجه بوجهه إلى اليمين.

-محطة ثنية المزاب: تبعد بحوالي 45 كلما جنوب الجلفة، يعود تاريخ رسومها إلى 6000 سنة قبل الميلاد، نجد في صخورها الصفراء رسومات غامضة صعبة الفهم، ورسما لفيل ضخم و آخر صغير، ولشخص يظهر شعره بهيئة غريبة[8].

-محطة صفية بورنان: اكتشفت سنة 1954 من قبل بيلان ،تقع بين مسعد و المجبارة. وفيها رسومات لفيل وكبش و نعامات و غزال ، وكذا مجموعة من الخيول. ويرى هونري لوت أن المحطة تعود إلى حوالي 5020 أو 5270 سنة قبل الميلاد[9].

يعتبر موقع وموضع مدينة الجلفة منذ عهود قديمة و منذ العهد الروماني والبربري مفترق طرق قديم حيث تقول الروايات الشفوية أن تسمية الجلفة تسمية ليست قديمة جدا بل وقعت في العهد التركي حيث من الراجح أنه قبل إنشاء المدينة، كان سكان المناطق المجاورة ينظمون سوقا أسبوعيّة يقصدونها من كل الجهات والأماكن البعيدة، وترعى مواشيهم في مفترق الطرق الذي عرف بالجلفة وترعى مواشيهم في أرضه المسقيّة بفيضانات الأودية، حيث التربة الخصبة ولكن بعد أن يحل الجفاف صيفا على أرض هذا المفترق تتشكل قشرة (أو جلفة) يابسة تميز أرضه ومنها جاءت تسمية الجلفة أي من تقشر الأرض بعد الجفاف إلى قشر يابسة.

و يورد العلامة ابن منظور في معجمه -لسان العرب -تفسير لمعنى كلمة جلف فيقول: الجَلْفُ: القَشْر. جَلَفَ الشيءَ يَجْلُفُه جَلْفاً: قَشَرَه، وقيل: هو قَشْرُ الجلد مع شيء من اللحم، والجُلْفَةُ :ما جَلَفْت منه، والجَلْفُ أَجْفَى من الجَرْفِ وأَشدُّ اسْتِئصالاً .والجَلْفُ: مصدر جَلَفْت أَي قشَرْتُ. وجَلَفَ ظُفُرَه عن

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 290 - 303
zitounimac@hotmail.com
belb65@hotmail.com

إصْبَعِه :كَشَطَه. ورِجْل جَلِيفَةٌ وطَعْنَةٌ جالِفةٌ: تَقْشُر الجِلْدَ ولا تخالط الجَوفَ ولمتدخله.والجالِفةُ: الشجّة التي تَقْشِرُ الجلد مع اللحم وهي خلافُ الجائفة. وجَلَفْتُ الشيء: قَطَعْتُه واسْتَأْصَلْتُه: وجَلَف الطِينَ عن رأْس الدَّنِّ يَجْلُفه، بالضم، جَلْفاً: نَزَعه. ويقال :أَصابتهم جَلِيفةٌ عظيمةٌ إذا اجْتَلَفَتْ أَموالَهم، وهم مُجْتَلَفُون[10].

في 20 فبراير1861 ، أصدر سكاني نابليون الثالث مرسوما بإنشاء تجمع في المكان المسمى الجلفة، ارتبطت المدينة الوليدة إداريا وعسكريا بالأغواط، سكان المدينة مكونون أساسا من قبائل أولاد نايل والهلاليين،بنيت بالمدينة كنيسة سنة 1864 ومسجد في1864 حمل اسم سي بلقاسم بن لحرش شقيق سي الشريف بن لحرش الذي قاتل إلى جانب الأمير عبد القادر الفرنسيين واستشهد بنفس السنة،شهدت المنطقة عدة ثورات ضد المحتل، مثل ثورة بن شدوخة سنة1861 وثورة أولاد سيدي الشيخ سنة1864 [11].

3. السكان الأولون للجلفة:

إن أول من سكن منطقة ولاية الجلفة و ما جاورها هم أمازيغ، فعلماء الأنثروبولوجيا يحددون تواجدهم إلى حوالي خمسمائة سنة قبل الميلاد، فكل فروع سكان سنجاس وبني وارع تنتمي إلى القبيلة الكبرى للمرغاوة، ويبدو أن هناك تواجدا قصيرا للرومان خلده الكاستليوم مثل الحصن الروماني دوماد والتي بناها الرومان في عام 198 قبل الميلاد تحت سيبتيم سيفير، والذين رحلوا عنها في 230 للميلاد[12].
أما وجود القبائل البربرية في حدود منطقة الجلفة فكان قديما، إذ يذكر الأب فرانسوا دوفيلاري أن المنطقة وما جاورها كانت تنتمي إلى البربر منذ سنة 1500 قبل الميلاد وحتى سنة 1000 م، و أن هناك شعبا بربريا عرف بالبداوة وكان يسمى "الجيتول"، اجتمع منذ عهد ما قبل التاريخ من بقايا النيوليتيكيين (العصر الحجري المتأخر أو الحديث)ومن الأقوام التي نزحت من المشرق (من فلسطين أو جنوب اليمن)، ومن سردينيا في الغرب،تدل على ذلك الكتابات الليبية التي اكتشفت في مناطق مثل: وادي حصباية ، وصفية بورنان وعين الناقة وصفية البارود، وتدل على ذلك أيضا بعض الأضرحة بأنواعها التي يذكر الأطلس الاركيولوجي وجودها في منطقة الجلفة، في الادريسية وقلتة السطل وجنوب وادي جدي بالقرب من ضاية زخروفة بالإضافة إلى بعض رسومات الأحصنة و الجمال[13].

وتجدر الإشارة أن ابن خلدون لا يستعمل كلمة "الجيتول"، بل يطلق على هؤلاء اسم البربر، ويركز على الزناتيين البربر، ويذكر فروعا لهذه القبيلة، سكنت مناطق الجلفة وما جاورها وتنتمي هذه الفروع كلها إلى بطن مغراوة .ومن بين هؤلاء البربر بنو سنجاس الزناتيون من مغراوة، إذ ينقل ابن خلدون عن

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 290 - 303
zitounimac@hotmail.com
belb65@hotmail.com

أحد نسابي زناتة قوله : « ولم تزل هذه البطون الأربعة من أوسع بطون مغراوة. فأما بنوسنجاس فلهم مواطن في كل عمل من أفريقية و المغربين فمنهم قبلة المغرب الأوسط بجبل راشد وجبل كريرة وبعمل الزاب وعمل الشلف،ونازلوا قفصة سنة أربع عشر و خمسمائة... » [14]. و جبل راشد ما هو إلا الجبل المعروف الآن باسم "جبل العمور" الواقع غرب الجلفة.

ويؤكد ابن خلدون ذلك في موقع آخر من "تاريخه"، فيقول: « ومن بني سنجاس هؤلاء بأرض المشنتل "جبل السحاري نسبة إلى السحاري الهلاليين الذين استوطنوه فيما بعد و يقع الجبل شمال الجلفة" ما بين الزاب و جبل راشد، أوطنوا جباله في جوار غمرة ، وصاروا عند تغلب الهلاليين في ملكهم يقبضون الإتاوة منهم »[15].

ولا شك في أن كلمة غمرة التي وردت أيضا في الكلام السابق، هو اسم قبيلة أخرى بربرية سكنت المنطقة بجوار بني سنجاس، وهو يقصد بها قبيلة "غمرت" أو " واغمرت" - كما يقول البربر-، إذ يذكرها ابن خلدون في سياق آخر بهذا الاسم البربري ، فيقول عنها: « وأما واغمرت ، ويسمون لهذا العهد غمرت، وهم أخوة وجديجن ، ومن ولد ورتنيص بن جانا كما قلناه، فكانوا من أوفر القبائل عددا، ومواطنهم متفرقة، وجمهورهم بالجبال إلى قبلة بلاد صنهاجة من المشنتل "جبل السحاري" إلى الدوسن» [16].

يرى ابن خلدون أن صفة الزناتيين البربر كانت الحياة البدوية ، وما تقتضيه من تنقل تلك القبائل بين المواطن بحثا عن أماكن الانتجاع، فذكر أنهم يسكنون الخيام، ويتخذون الخيل والإبل، ويألفون رحلتي الشتاء و الصيف ، وكذا يغيرون على العمران (وهي حياة تشبه إلى حد بعيد حياة العرب في شبه الجزيرة العربية)، وربما كانت هذه من أهم العوامل التي سهلت مجيء العرب المسلمين و استيطانهم البلاد ، وسهولة تعاملهم مع السكان البربر الأصليين[17].

اعتمدت السياسة الرومانية في الإحكام السيطرة على الأراضي الجزائرية على بناء بعض "التحصينات" التي امتدت من شط الحضنة شمالا إلى وادي جدي جنوبا.

كما اعتمد الرومانيون على إنشاء قلاع، مثل قلعة ديميدي Castellum Dimmidi الواقعة قرب مدينة مسعد الآن، وقد بنيت في عهد الإمبراطور الروماني سبتوس سفيروس،وكان ذلك سنة 198 م في رأي جلبير شارل بيكار، بينما يرى شارل اندري جوليان أنها بنيت سنة 201 م، و استمر عمل هذه القلعة إلى غاية سنة 240 للميلاد، ولم تكن الوحيدة في هذه المناطق ، بل بنيت قلاع أخرى في الجنوب ، في "القاهرة" وعين الريش والدوسن وبورادة، وكلها تقع في امتداد استراتيجي يتحكم في الإقليم الممند جنوب حوض الحضنة[18].

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 290 - 303
zitounimac@hotmail.com
belb65@hotmail.com

ولعل تسمية منطقة دمد في بلدية مسعد من القلعة ديميدي سالفة الذكر وهى تمثل عنصر مهما تاريخيا و اثريا ليما تحمل من أدوات وأثار ورسومات جداريه وهي معروضة في متحف الآثار القديمة في الجزائر العاصمة. ومما لاشك فيه أن الرومان أسهبوا في بناء القلاع وهذا لتطويع البدو وتوفير الأمن والدفاع عن أنفسهم في الشمال الجزائري. ولازالت بعض آثار قلعة ديميدي التي بنيت على وادي يعد أحد روافد وادي جدي المنطلق من المنحدرات الجنوبية لجبال أولاد نايل، لا زالت موجودة بمدينة مسعد في المكان المسمى دمد، ولازالت بعض القطع الأثرية المنقوشة من بنيانها معروضة بالمتحف السياحي لمدينة الجلفة.

سنة 704 ميلادية إعتنق البربر بمنطقة الجلفة الإسلام، وفي سنة 1049 غزا بني هلال وسليم (قبائل عربية) المغرب، بطلب من الخليفة الفاطمي المستنصر بعد العصيان الذي قاده المعز بن باديس بن منصور بن بولوغين، وبمجيئهم سنة 1051 استولوا بسرعة على البلاد وطردوا قبائل زناتة من المنطقة ولاحقوهم إلى غاية سهل الزاب والحضنة، وفي نهاية القرن الـ 12،قدم الزغبيين (ينتمون إلى قبائل بني هلال، السحاري) والذين دانوا بالولاء للموحدين ودعموا جيشهم وبالمقابل أقطعوهم أراضي في الشمال، وفي القرن الـ 13 استقر السحاري وهم فرع من قبيلة نادر الهلالية وقسم من زغبة ،بجبل مشنتل (جبل السحاري حاليا) وسيطروا على المنطقة خلال هذا القرن ،إلى أن زحف أولاد نائل على المنطقة،حيث لم يمكنهم البقاء بعين الريش أين عاش جدهم، وتفرقوا في المنطقة وخاضوا العديد من المعارك حتى العهد التركي[19].

4. مفاهيم البحث:

1 **الفن** هي عملية إبداع وإعادة صياغة الواقع وفق ما يرى ويريد الفنان وليس كما هو كائن(20).

2 الاستشراق: كتب عبد الكريم الخطيب في بحثه يذكر أن الاستشراق "حركة ولدت في هذا العصر الحديث وهي – في ظاهرها- حركة علمية يراد بها دراسة التراث الشرقي في معتقداته وآدابه، ولكنها تبغي من وراء هذا التعرف على منابع هذا التراث، محاولة صرف أهله عنه ليولوا وجوههم شطر الغرب ويتعلقوا بركاب حضارته."[21].

وهو كما يرى إدوارد سعيد القيام: "بتدريس الشرق أو الكتابة عنه، أو بحثه –ويسري ذلك سواء أكان المرء مختصّا بعلم الإنسان، أو بعلم الاجتماع، أو مؤرّخًا، أو فقيه لغة- في جوانبه المحددة والعامة على حدّ سواء"[22].

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 290 - 303
zitounimac@hotmail.com
belb65@hotmail.com

3 الفنان اوجين فرومنتان:

اوجين فرومنتان (Eugène Fromentin) : من (24 أكتوبر 1820 – 27 أغسطس1876) رسام و كاتب فرنسي ، ولد يوجين فرومنتان في لا روشيل 24أكتوبر1820 ,و توفي في سان موريس 27أغسطس 1876،في عام 1846 قام فرومنتان، برفقة عدد من أترابه، برحلة إلى الصحراء الجزائرية ووقع تحت سحر الصحراء. فكان فرومنتان واحداً من أوائل الوصافين التصويريين في الجزائر ولما كان قادراً في سن مبكرة أن يزور الأرض والشعب الذي استوحى منه معظم أعماله، وأن يختزن ذكرياته وصوره بالتفاصيل التصويرية والوصفية للحياة في شمال أفريقيا، فقد حصل في سنة 1849 على وسام من المرتبة الثانية[23].

رجع إلى الجزائر مرة ثانية، وأقام فيها قرابة سنة كاملة 1847-1848، وفي 1852 قام بزيارة ثالثة للجزائر، مصاحباً بعثة تنقيب عن الآثار، وفيها أكمل دراسته الدقيقة لمناظر البلد وعادات شعبه، الأمر الذي مكنه من أن يعطي عمله دقة واقعية تأتي من المعرفة اللصيقة. كما زار مصر وقد رسم في هذه الرحلات عدداً كبيراً من اللوحات ذات الموضوعات الاستشراقية الفجّة (أحصنة تعدو، جاريات جميلات، شيوخ قبائل...)، كما جمع فيها كثيراً من الانطباعات، نشرها في ثلاثة مجلدات: «صيف في الصحراء 1881 الكبرى» عام 1857، «عام في منطقة الساحل» عام 1859، «انطباعات من رحلة إلى مصر» عام. وكما هي الحال لدى غالبية كتاب الرحلات الأوربيين يضيف فرومنتان إلى الوصف الظاهري للمناطق التي زارها والشعوب التي قابلها أحكام قيّمة مبنية على معايير مركزية أوروبية، وهذا ما يجعله يقول مثلاً: «إن العرب هم الشعب الوحيد الذي استطاع الاحتفاظ بكبريائه لأنه عرف كيف يبقى بسيطاً في حياته وتقاليده وأسفاره وسط الشعوب الأخرى المتمدنة»[24].

و الفنون التشكيلية وحدها أحصيت 247 رساما زاروا الصحراء الجزائرية فقط واستلهموا منها لوحاتهم ورسموا مناظرها و مشاهد الحياة بها، هذا ما بين سنة 1830 و1960 فقط [25].

zitounimac@hotmail.com
belb65@hotmail.com

5. تحليل لوحات الشاهدة من خلال المصادر الفنية بالجلفة:

اللوحة 1

الخصائص التقنية

الفنان :اوجين فرومنتان
عنوان اللوحة: رسائل "بلاد أولاد نايل في الربيع" سنة1861 (26).
أدوات المستخدمة: زيت على قماش
الحجم : 87*146سم

تحليل اللوحة

هي سباق الخيالة في أيام الربيع النايلي رسمها فرومنتان لإعجابه بالفنتازيا والفروسية والتي كانت تؤد في الأفراح والأعياد والمواسم وهي من الأصالة والتراث في قبائل الجزائر.

حيث طبيعة الجزائري المقاتلة و التصاقه بالحرب له مؤشرات كثيرة في عاداته وألعابه وولعه بالصيد ،فألعاب الفروسية والبارود نابعة من هذه النزعة الحربية، يقول بيار دو لونكل في كتابه الحياة والطبائع في الجزائر بأن أحسن ألعاب للفروسية هي تلك التي يؤديها الفارس العربي ببنادق محشوة بالرصاص، إذ لهذه المعركة أناقة رياضة وحلاوة لعبة... أين تكون فيها الموت هو الرهان(27).

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 290 - 303
zitounimac@hotmail.com
belb65@hotmail.com

اللوحة 2

الخصائص التقنية

الفنان :اوجين فرومنتان

عنوان اللوحة: بورتريه " شريف بن الأحرش " -الجلفة في 31 ماي1853-[28].

أدوات المستخدمة: زيت على قماش وضعت على لوحة

الحجم : **30.8*39.4**سم

تحليل اللوحة

تبرز اللوحة رسم الجانب العلوي لثائر شريف بن الاحرش والإلمام بالجوانب التقليدية في اللباس والشخصية الفذة في ملامح وجهه.

ونذكر حيث كان لفرومنتان علاقات وثيقة بكبار الشخصيات السياسية، لا سيما المجاهد عبد القادر الجزائري، والثائر (شريف بن الأحرش)، الذي شارك عبد القادر أغلب معاركه الحربية ضد الاستعمار الفرنسي، لا سيما معركة جبل جرجرة سنة 1845م. وسي شريف هو خليفة إحدى مناطق جنوب الأغواط، وقد تعرّف عليه فرومنتان عام 1853م في منطقة الجلفة، واندهش من شخصيته، فرسم له لوحة(بورتريه)، وكتب عنه وعن شخصيته وصفاته في كتابه (صيف في الصحراء)، قائلاً " :ألمح قبالتي في شخص هذا السيد العظيم الماثل أمامي، ذي السجايا الدمثة، أحد الأمراء الأكثر رخاء وبسالة. إنه الأكثر اعتباراً، ولعل الأمر في هذا عائد إلى سعة ثروته ومكانته السياسية العالية واستناداً إلى سوابقه العسكرية الباهرة". كما تطرق فرومنتان - في كتابه - إلى ملامح ابن الأحرش، حيث نجده ضخماً، ذا عينين بارزتين، ووجه ساكن وديع. كما ذكر فرومنتان ثروة الرجل وحددها بالقطعان الضخمة من الأغنام والإبل، التي وصلت إلى ستة آلاف رأس من الإبل وحدها[29].

zitounimac@hotmail.com
belb65@hotmail.com

اللوحة 3

الخصائص التقنية

الفنان :اوجين فرومنتان

عنوان اللوحة: فحم فرومنتان , عين وسارة 1853/05/27 [30].

.أدوات المستخدمة: زيت على قماش وضعت على لوحة

الحجم : 30.8*39.4 سم

تحليل اللوحة

الرجال والجياد والخيمة والصحراء عناوين فاضت بها اللوحة وتحي بها الأثر التراثي الفني فأسدلت على الشخصية البدوية الصحراوية الواسعة الفضاء والترحاب.

فيصف فرومنتان الخيمة بقوله:

لوحة حقيقية للحياة البدوية؛ خيام حمراء مخططة بالأسود، مثبتة بعدد من العكاكيز،وممسوكة بالأرض بحبال وأوتاد. تراكمت بالداخل وبطريقة عشوائية أدوات المطبخ، وأثاث البيت، وعدة الحرب لصاحب الخيمة، الرحى الحجرية، لطحن الحبوب، المهراس الثقيل لدق الفلفل، الصحفة الخشبية أين يعجن الكسكس، الغربال، الكسكاس، جفان الحلفاء المضفرة،أكياس السفر أو التليس، بردعات الجمال، زرابي الخيام؛ النول لنسج الصوف، الفرجون الحديدي العريض والذي يستعمل في نفش صوف الجمال...الخ . ووسط هذه الفوضى صندوق أو صندوقان يحويان إضافة إلى حلي المرأة، الأشياء الثمينة الأخرى التي تمثل كل ثروة صاحب الخيمة.في الخارج، أرضية مطروقة، مرعية، حتى من الجذور، مليئة

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 290 - 303
zitounimac@hotmail.com
belb65@hotmail.com

بالأوساخ، مغطاة ببقايا الأشياء القديمة وعظام الحيوانات، إضافة إلى مكان يكسوه السواد؛ الكوانين المحفورة في الأرض، والمتكونة من ثلاثة أحجار تشكل موقدا؛ أكداس من العليق والأشواك اليابسة، وقرب سوداء، معلقة بثلاثة أوتاد على شكل هرم، وحول هذا كله السهل الشاسع، والجمال التي تسرح بها نهارا بلا حارس، لتعود في المساء إلى الدوار على صوت البوق.هو ذا المتزل المتنقل، أين يقضي البدوي الصحراوي نصف عمره[31].

وينوه إلى الجوانب الهندسية التقنية في وصف الخيمة: بقوله:"يمكن القارئ أن يكون فكرة عن الخيمة العربية بأن يتخيل فضاء مربعا يقدر ب 40 قدما مغطى بقطعة قماش مصنوعة من وبر الجمال وضفائر القش، وهي مثبتة بالأرض بأعمدة أطولها أعمدة الوسط التي يتصل إلى حوالى 7 أو 8 أقدام ، في حين لا يتعدى ارتفاع أعمدة الجوانب الثلاثة أقدام ، بحث يتوجب عليك أن تنثني إلى نصفين لتتمكن من الولوج إلى داخل هذا البيت المتميز.وإذا كان المظهر الخارجي يبدو غريبا فإن الداخل مثير للدهشة أكثر، فالأرضية خليط من الأقمشة والحصائر المفروشة، لتحمي ساكنيها من رطوبة الأرض. والخيمة مقسمة بقطعة مصنوعة من وبر الجمال كذلك .." [32].

وتتجلى قيمة الصحراء والضيافة عند الجزائري في دوار من خيام الضيافة التي هي من الواجبات. حيث أشار دوماس إلى ذلك بقوله:"عادة يتكون الدوار من سبعين إلى مائة خيمة منصوبة حول فضاء واسع نوعا ما يدعى المراح ، وغير بعيد في الخارج قليلا تنصب سبع أو ثمان خيام أخرى تسمي: "قياطين الضياف"؛خيام الضيوف تشيد من طرف أغنياء الدوار، يسهر عليها بعض الخدم ليل نهار، مكلفون خصوصا بخدمة الغرباء"[33]. والصحراويون لا ينعتون الضيف إلا بعبارة ضيف ربي[34].

الاستنتاجات

- وثق الفنان المستشرق للبيئة المنطقة" الشخصية، الخيمة، الكرم، الفروسية،اللباس"
- خط الفنان المستشرق لزمن مدينة الجلفة في التاريخ الحديث والمعاصر من حيث السياق اللحظي والزمني.
- استلهام الصور التشكيلية واللوحات الفنية التي عبرت على دراسة النمط المعيشي والخصائص الإنسانية لمنطقة الجلفة.
- عبر الفن التشكيلي من خلال الأعمال الفنية الراقية على التاريخ والآثار في منطقة الجلفة.

zitounimac@hotmail.com
belb65@hotmail.com

الخاتمة

الصورة ما هي إلا لحظة وجدان وحضور فكري وعاطفي أدى بالفنان فرومنتان إلى رؤية الحواضر والشواهد التي اثر فيه من خلال رسمه للوحات تشكيلية رائعة في الجمال فالمكان ألهمه العمق والزمن ألهمه التوقف لكتابة تاريخ منطقة الجلفة من خلال أعمال فنية،فهو وثق اللحظة وسجل تاريخ منطقة الجلفة ،لذالك إن حياة الصورة لزمن الحاضر هي حياة لتاريخ الموروث الحضاري للجلفة وهي تؤرخ من جانب التوثيق إلى السياق الزمني والمكاني.

الاحالات و الهوامش:

1. مديرية التحارة الجلفة
http://www.dcwdjelfa.dz/index.php
2. موقع ولاية الجلفة
http://www.wilayadjelfa.dz/index.php
3. موقع جامعة الجلفة
http://www.univ-djelfa.dz/ara/index.php
4. مديرية التحارة الجلفة
http://www.dcwdjelfa.dz/index.php
5. موقع جامعة الجلفة
http://www.univ-djelfa.dz/ara/index.php
6. مديرية السياحة والصناعة التقليدية بالجلفة
http://www.dta-djelfa.com
7. Grebenart D. Aïn-Naga : Capsien et neolithique des environs de messad (Dept. de Médéa. Algérie).Libyca, t. XVII, 1969, P135-198.
8. غرفة التجارة والصناعة بالجلفة http://cciondjelfa.com
9. https://ar.wikipedia.org/wiki
10. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب،ج3، ص180.
11. موقع الجلفة http://www.djelfa.org
12. تاريخ أولاد نايل http://www.djazairess.com/elmassa/52485
13. موقع الجلفة انفو http://www.djelfa.inf
14. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون "النسخة الباريسية : التيمز وغتي، النسخة الباريسية : كركرة"،ج7،ص63.
15. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون "النسخة الباريسية وفي نسخة أخرى: المشنتل"،ج7،ص64.
16. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون : الخبر عن بني يرنيان إخوة مغراوة وتصاريف أحوالهم ،ج8 ، ص126.
17. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون : الخبر عن بني يرنيان إخوة مغراوة وتصاريف أحوالهم ،ج8 ،ص145.
18. من ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة
https://ar.wikipedia.org/wiki
19. من ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة

http://wikivisually.com/lang-ar/wiki

20. رياض، عبد الفتاح: التكوين في الفنون التشكيلية، دار النهضة العربية، مصر، 1974 ، ص74 .
21. عبد الكريم يونس الخطيب "الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام" (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1984 م)، ص391- 459.
22. إدوارد سعيد : الاستشراق (المعرفة- السلطة- الإنشاء)، مؤسسة الأبحاث العربية، ط6، 2003، ص38.
23. Rijksmueum: Boerenerf met vee, Eugène Fromentin-Dupeux, 1849 – Rijksmuseum
24. فرومنتان في صحارى الشرق ، "مجلة العربي" ، 2014.
25. Marion Vidal-Bué: L'Algérie du Sud et ses Peintres 1830- 1960، Paris Edit 2000.
26. Louis Gones, Eugene Fromentin Peintre et Ecrivain, Quantin-Imprimeur-Editeur, Paris 1881,
P 77
27. Deloncle , Pierre : La Vie et les moeurs en Algérie, Publications du Comité Metropolitain du Centenaire de l'Algérie, P 7.
28. http://www.djelfa.org/si_cherif.htm
29. Eugène Fromentin, 1820-1876: visions d'Algérie et d'Egypte, acr, edition internationale , 2008, Courbevoie (paris) , P160.
30. Les Orientalistes D'Eugene Fromentin ,By James Thompson, Barbara Wright Acr Edition Les Editions De L'Amateur v6, courbevoie (paris) ,1987, P134.
31. Eugène Fromentin: Un été au Sahara, Paris Librairies Plon , P 53.
32. Eugène Fromentin: Un été au Sahara, Paris Librairies Plon , P 54.
33. Le General Daumas, Moeurs et coutumes de l'Algerie Tell- Kabylie- Sahara, Paris de L-Hachette et Cne,1853, P85 .
34. Daumas ،Eugène: Le Grand Désert ou Itinéraire d'une Caravane du Sahara au Pays des Nègres,Paris,1848,P 45.